مسيرات العودة: قراءة نقدية

أ.د. خالد صافي

مسودة ورقة مقدمة إلى حلقة نقاش

عام على مسيرات العودة

25 آذار 2019 – (البيرة، غزة)

مقدمة

تعد مسيرات العودة التي انطلقت في الثلاثين من مارس 2018م في الذكرى الثانية والأربعين للاحتفال الوطني السنوي بيوم الأرض حالة فلسطينية اتخذت من المقاومة الشعبية أداة نضالية تحت شعار " حق العودة وكسر الحصار"، وتشكلت لها هيئة قيادية عليا من ممثلين الفصائل الوطنية والإسلامية. وهي تشكل حالة اشتباك شعبية أسبوعية مع قوات الاحتلال الإسرائيلي على الحدود الشرقية لقطاع غزة. وقد تمخض عن هذه الحالة النضالية الفلسطينية نحو مائتي شهيد، وألاف المصابين من بينهم مئات قد بترت أطرافهم، وأصيبوا بإعاقات دائمة. وشارك في المسيرات جميع فئات العمر من الكبير والصغير، الرجال والنساء، وإن كان وقودها الدائم هم من الشباب الفلسطيني. وعبرت مسيرات العودة عن نفسها بالعديد من الأشكال النضالية مثل خيام العودة، عرض الفنون الشعبية والأكل الشعبي، وحدات الكاوتشوك، وحدات قص الأسلاك، وحدات الإرباك الليلي، وحدات البالونات والطائرات الورقية الحارقة هذا إضافة إلى الحالة الاشتباكية التقليدية باستخدام الحجارة، المقلاع، الشديدة، قنابل المولوتوف ... الخ.

ونظراً للخسائر الكبيرة التي وقت في الجانب الفلسطيني بسبب العنف الإسرائيلي الذي لا يتناسب مع حالة المقاومة السلمية التي يمارسها الشعب الفلسطيني للدفاع عن أرضه وقضيته ومشروعه الوطني وحقه في تقرير المصير فقد أصبحت هذه المسيرات مثارا للاختلاف في وجهات النظر، ما بين مؤيد لها، وما بين معارض. وهناك أصوات أخذت منحى توفيقي من حيث الدعوة إلى استمرارها لكن ضمن تقنين حالة الاشتباك، وتنظيمها، بحيث يتم تقليل الخسائر في الجانب الفلسطيني في ضوء امتلاك العدو كل وسائل الأسلحة الحديثة من طائرات وأسلحة حديثة، وسواتر ترابية، وأبراج مراقبة خرسانية. وقيام الجانب الإسرائيلي بإطلاق النار مباشرة على المشاركين في المسيرات، هذا إضافة إلى استخدام قذائف الدبابات، وقصف الطائرات بدون طيار للمشاركين.

ويمكن القول إن مسيرات العودة تشكل حالة اشتباك مع المحتل وإحدى وسائل المقاومة السلمية التي يجب الحفاظ عليها، وأن الشرائع السماوية، والشرعية الدولية قد كفلت للشعوب حق الدفاع عن النفس، وحق المقاومة ضد المحتل لتحقيق أهدافها المشروعة في الحرية والاستقلال وتقرير المصير. وأن الاحتلال الإسرائيلي وإن كان قد خرج من قطاع غزة نظرياً من

خلال سحب قواته إلا أنه يحاصر قطاع غزة برا وبحرا وجواً، ويتحكم في معظم منافذه البرية. وبالتالي فإن كسر هذه الحصار يعد حالة نضالية فلسطينية من أجل توفير المقومات الحياتية الدنيا للشعب الفلسطيني.

بعض السلبيات لمسيرات العودة

- مواجهة الشباب العزل لآلة الحرب الإسرائيلية الطاحنة قد أوقعت الكثير من الشهداء والجرحى ذوي الإعاقة.
- اختلاف الرؤية السياسية للقائمين على مسيرات العودة، فهناك من يعمل على تجييرها لأهداف حزبية وليس لحالة نضالية فلسطينية.
- غياب العقل الجمعي لمسيرات العودة، وغياب المشاركة الجمعية لكل مكونات الشعب الفلسطيني، فهناك فصائل منخرطه الهيئة القيادية العليا شكلا ولكن فعالياتها محدودة على أرض الواقع.
- في ظل عدم انهاء الانقسام، وفي ظل غياب رؤية استراتيجية وطنية موحدة، هناك من ينظر لمسيرات العودة على أنها تصدير أزمة من حركة حماس للتهرب من استحقاقات المصالحة، وإنهاء الانقسام. وأنها تعمل على توظيف مسيرات العودة حزبياً من أجل إطالة أمد الانقسام.
- عدم تقديم الدعم والعلاج الكافي لجميع أسر الشهداء والمصابين، وأن هناك محاباة وعدم عدالة في رعاية أسرهم، مما أفقد القائمين على هذه المسيرات بعض المصداقية لدى فئات الشعب المشاركة. فهناك من يقدم لهم العلاج والسفر ... الخ.
- هناك من ينظر لمسيرات العودة على أنها حالة ابتزاز مالي من قبل حركة حماس للجانب الإسرائيلي بدعم قطري. مما أفقد المسيرات رؤيتها الوطنية الاستراتيجية.
- التحريض المستمر على مسيرات العودة فصائليا وإعلامياً مما يشكل مس بقدرتها التعبوية والحشدية، وزخمها الشعبي.
- احجام العديد من القيادات عن المشاركة الفعلية في مسيرات العودة والاكتفاء بالاستعراض الإعلامي.

- ضعف البنية التحتية الطبية في قطاع غزة، بحيث انعكس ذلك سلبا على العلاج الطبي المقدم للمصابين لاسيما ذوي الإعاقة.
- شعور البعض أن بعض إنجازات المسيرات كانت ذات تأثير معاكس مثل الهجرة الواسعة للشباب عن طريق معبر رفح، هذه إضافة إلى الاختلاف في النظر لتوظيف الأموال القطرية بشكل غير عادل.
- تركت مسيرات العودة أثار سلبية على الأراضي الزراعية الحدودية، وتضرر المزارعين من حشود وأحداث مسيرات العودة عليهم.

توصيات

- استمرار مسيرات العودة كشكل نضالي سلمي وحالة اشتباك مع العدو الصهيوني.
- تشكيل غرفة عمليات مشتركة لجميع الفصائل الوطنية والإسلامية من أجل ضبط وإدارة الحالة النضالية.
- عدم احتواء طرف من الأطراف لمسيرات العودة لأهداف حزبية.
- محاولة تشكيل غطاء سياسي وإعلامي ومالي عربي إسلامي لدعم مسيرات العودة.
- دعم القطاع الصحي لتقديم أفضل الخدمات الطبية للجرحى لاسيما أصحاب الإعاقة.
- محاولة نقل تجربة مسيرات العودة للضفة الغربية كحركة نضالية ضد الاستيطان وتهويد القدس.
- ضرورة وجود خطاب إعلامي وطني موحد وأجندة وطنية متوافق عليها للمسيرات.
- إبعاد مسيرات العودة عن التوظيف في التجاذبات العربية والإقليمية والدولية.
- تطوير أدوات وآليات مسيرات العودة لإرباك العدو.
- العمل على ضمان الحاضن الشعبي لمسيرات العودة، وتأمين الحشد الدائم لذلك.